

٢٥- برُّ الوالدَيْنِ

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
أما بعد.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن تقوى الله تعالى لا تستقيم لكم حتى تقوموا بما فرض الله عليكم من الواجبات والحقوق، وتذكروا ما نهاكم عنه من القطيعة والعقوق.

أيها المؤمنون.

إن برَّ الوالدين من آكد ما أمر الله به عباده، كيف لا؟ وقد قرن الله حقَّهما بحقه سبحانه وتعالى، وشكرهما بشكره جلَّ في علاه، فقال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١)، وقال جل وعلا: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(٢).

ومما يُظهر مكانة برِّ الوالدين في ديننا الحنيفِ النصوصُ النبويةُ الكثيرةُ المستفيضة، والتي تحثُّ على برِّ الوالدين، وتنهى عن عقوبتهما، فمن ذلك ما في "الصحيحين" من

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) سورة لقمان: ١٤.

حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟ قال: الصلاةُ على وقتيها، قلت: ثم أيُّ؟ قال: برُّ الوالدين، قلت: ثم أيُّ؟ قال: الجهادُ في سبيلِ الله»^(١).

وفيهما أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهادِ، فقال: «أحيي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهدُ»^(٢).

وعنه أيضاً قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «رضا الرَّبِّ في رضا الوالدِ، وسخطُ الرَّبِّ في سخطِ الوالدِ»^(٣).
أيها المؤمنون.

فضلُ الوالدين كبيرٌ، وإحسانُهما سابقٌ عظيمٌ، تذكَّرْ رعايتهما لك حالَ الصَّغرِ، وضعفِ الطفولةِ.

حملتك أمُّك يا عبدَ الله في أحشائها تسعةَ أشهرٍ، وهناً على وهنٍ، حملتك كُرْهاً ووضعتك كُرْهاً. فبالله يا عبدَ الله:
كم ليلةٍ باتتْ بثقلِك تشتكي لها من جَواها أَنَّةٌ ورَفِيرٌ

(١) "صحيح البخاري" (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

(٢) "صحيح البخاري" (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي (١٨٩٩) والحاكم (١٦٨/٤) ح (٧٢٤٩) وقال: "صحيح على شرط مسلم".

وفي الوضع لو تدري عليك مشقة
فكم غَصَصٍ منها الفؤادُ يطيرُ
وكم مرةٍ جاعت وأعطتك قوتها
صفواً وإشفاقاً وأنت صغيرُ
هذه حالُ أمِّك.

أما أبوك أيها الأخ فتذكر كدَّه وسعيه وتنقله وسفره، وتحمله الأخطار والأكدار؛
بحثاً عن كل ما تصلح به معيشتك، وإن كنت ناسياً فلا تنس انشغاله بك
وبصلاحك ومستقبلك وهمومك.

نعم أيها الأخ الكريم، هذان هما والداك، ألا يستحقَّان منك البرَّ والإحسانَ
والعطفَ والحنانَ؟! بلى، والله إن ذلك لمن أعظم الحقوقِ.
أيها المؤمنون.

إنَّ مما يحثُّنا ويشجِّعنا على برِّ الوالدين تلك الفضائل التي ربَّها الكريمُ العليمُ على
برِّ الوالدين.

فمن تلك الفضائل: أن برَّ الوالدين سببٌ لدخولِ الجنة، ففي "صحيح مسلم" عن
أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «رغم أنفه، ثم رغم أنفه،
ثم رغم أنفه، من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخله الجنة»^(١)

ومن فضائل برِّ الوالدين: تفريجُ الكربات، وإجابة الدعوات، فعن ابن عمر رضي
الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «انطلق ثلاثة رهطٍ بمننِ

(١) "صحيح مسلم" (٢٥٥١).

كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّىٰ أَوْوَا الْمُبَيْتَ إِلَىٰ غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَاِنْحَدَرْتُ صَخْرَةً مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَىٰ بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرْحَ عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَىٰ يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا، حَتَّىٰ بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غُبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَاِنْفَرَجَتْ شَيْئًا، لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَاِمْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّىٰ أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَىٰ أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّىٰ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تُفْضَ الْحَاتِمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَاِنصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أُعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاِنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجْرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أُجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَرْتُ أُجْرَهُ حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أُجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَىٰ

مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ:
إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَأْفَقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ
ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»^(١).
ومن فضائلِ برِّ الوالدين: سعةُ الرزقِ، وطولُ العمرِ، ففي "الصحيحين" عن أنس
رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سرَّه أن يُيسطَ عليه
رزقه، ويُنسأ في أثره فليصل رحمه»^(٢)، وبرُّ الوالدين أعظمُ صورِ صلةِ الرحم.
ومن فضائلِ برِّ الوالدين: ما ورد في شأنِ من عَقَّ والديه، فإن الأحاديثَ كثيرةٌ
مستفيضةٌ في تغليظِ عقوقِ الوالدين، ولو لم يكن في ذلك إلا تحريمُ الجنةِ على العاقِّ -
نعوذُ بالله من الحُسران- لكفى، ففي "الصحيحين" من حديث عائشة رضي الله عنها
قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخلُ الجنةَ قاطعٌ رحم»^(٣).
أيها المؤمنون.

لو لم يكن في عقوقِ الوالدين وتركِ برِّهما، إلا أنه غصصٌ وأنكادٌ يتجرَّعُها مَنْ لم يألُ
جهداً في الإحسانِ إليك، لكان كافياً في حملِك على تركه، واستمع بارك الله فيك إلى
تلك الزفراتِ التي أطلقها والدُّ ابْتِئَى بعقوقِ ابنه له، حتى ترى عِظَمَ ذلك وفداحتَه،

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، وأخرجه مسلم (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٥)، وأخرجه مسلم (٢٥٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، وأخرجه مسلم (٢٥٥٦).

قال الوالد مخاطباً ذلك الابن العاق:

إليها مدى ما كنتُ فيك أُؤمِّلُ
كأنَّكَ أنتَ المنعِمُ المتفضلُ
فعلتَ كما الجارُ المجاورُ يفعلُ
عليَّ بِمالي دونَ مالِكَ تبخلُ

فلما بلغتُ السنَّ والغايةَ التي
جعلتَ جزائي غلظةً وفضاظةً
فليتَّكَ إذ لم ترعَ حقَّ أبوتي
فأوليتني حقَّ الجوارِ ولم تكنُ
فيها أيها المؤمنون.

اتقوا الله، وقوموا بما فرض الله عليكم من بَرِّ والديكم، والإحسانِ إليهم، فإن حَقَّها عليكم عظيمٌ كبيرٌ، جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال: إن لي أمًّا قد بلغ منها الكبرُ، أنها لا تقضي حوائجها، إلا وظهري لها مَطِيَّةً، فهل أدَّيتُ حَقَّها؟ فقال الفاروقُ المحدثُ رضي الله عنه: "لا؛ لأنها كانت تصنعُ بك ذلك، وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعُه، وأنت تتمنى فراقها"^(١)، ولكنك محسنٌ، واللهُ يجزي المحسنين على القليل الكثير.

﷞﷞﷞﷞﷞

(١) الجامع في الحديث (٨٩).

الخطبة الثانية

أما بعد.

فيأيها المؤمنون.

إن للوالدين حقوقاً وواجباتٍ، أذكرُ ببعضها؛ رجاء أن يثمرَ ذلك عملاً صالحاً، وبراً حانياً، فلئن كانت النفوسُ السَّويَّةُ مجبولةً على حبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها، فإنَّ من شرائعِ الدِّينِ، وسِماتِ المروءةِ، وضروراتِ العقلِ أن يُقابَلَ الإحسانُ بالإحسانِ، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(١).

فمن حقوقِ الوالدينِ عليك: محبتُهُما وتوقيرُهُما على من سواهما، روى البخاريُّ في الأدبِ المفردِ أن أبا هريرة رضي الله عنه أَبْصَرَ رَجُلَيْنِ، فقال لأَحَدِهِما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: "لا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ، ولا تَمْشِ أَمَامَهُ، ولا تَجْلِسْ قَبْلَهُ"^(٢).

ومن بَرِّهِما: الإحسانُ إليهما بالقولِ والعملِ، كما قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

ومن حقوقِهما: الدعاءُ لهما في الحياةِ، وبعدَ المماتِ، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، وفي الحديث: «إن الرجلَ ليرتفعُ في الجنةِ، فيقول: أنَّى لي هذا؟

(١) سورة الرحمن: ٦٠.

(٢) الأدب المفرد (٣٠)، وصححه الألباني.

فيقال: **بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ** ^(١).

ومن حقوقهما: صلة أهلٍ وُدِّهما، فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صَلَاةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ»** ^(٢).
ومن حقوقهما: النفقةُ عليهما إذا كانا محتاجين للنفقة، وعند الولد ما يزيد على حاجته، قال شيخ الإسلام رحمه الله: **«على الولد الموسر أن ينفق على أبيه وزوجته أبيه، وعلى إخوته الصغار، وإن لم يفعل ذلك كان عاقباً لأبيه، قاطعاً لرحمه، مستحقاً لعقوبة الله في الدنيا والآخرة»** ^(٣).

ومن حقوقهما: التواضع لهما، وخفض الجناح، قال الله تعالى: **﴿إِذَا مَا يُلْعَنُ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا﴾** ^(٤).

ومن حقوقهما: إنفاذ عهدهما؛ أي: وصيتهما، ففي سنن أبي داود أن رجلاً قال: يارسول الله هل بقي من برِّ أبوي شيءٍ، أبرهما بعد موتها؟ قال: **«نعم، الصلاة»**

(١) أخرجه أحمد (١٠٢٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والحديث حسن إسناده العراقي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٣) مجموع الفتاوى ١٠١/٣٤.

(٤) سورة الإسراء: ٢٣-٢٤.

عليهما - ؛أي: الدعاء لهما - وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلته الرحم، التي لا تُوصَلُ إلا بهما^(١) .

هذه أيها المؤمنون بعض الحقوق التي افترضها الله عليكم لوالديكم، ولا يظنُّ من وفَّقَه اللهُ في القيام ببعض الحقوق أنه قد قامَ بما عليه، وقد جرى والديه حقَّهما، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يجزي ولدٌ والدَه، إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه، فيعتقه»^(٢) ، ورأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يئانئاً بالبيت، قد حمل أمه وراء ظهره، وهو يقول:

إني لها بغيرها المذلُّ إن أذعرت ركابها لم أذعُرُ

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرةٍ واحدة^(٣)؛ أي: عند الولادة.

اللهم إنا نسألك أن تعيننا على القيام بما افترضت علينا من برِّ الوالدين.

ﷻ

(١) أخرجه أبو داود (٥١٤٢) من حديث مالك بن ربيعة بن البدن رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٥١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٨).